

المقبرة البحرية

للشاعر الفرنسي بول فاليري

تلوت المقال المشهور بعنوان « حول قصيدة » للدكتور طه حسين فأعجبت به إعجابي بكل ما تسطره يراعة استاذنا المفكر، فثارت رغبة نفسي في الاطلاع على هذه القصيدة المحاطة بالاسرار والتي اختلف النقاد والادباء في تفهمها. فرجعت الى كتيبي التي اعتدت ان ازود بها في سفري، فلم أعر على القصيدة جميعها ولكنني وقعت على قسم منها لعله يكون « خيرها » لانه أدنى الى الافهام ولعله « أسوأها » ان كانت روعة هذه القصيدة تتجلى في الغازها وطلاسمها، ولكنني حتى في هذا القسم الواضح - لم أقع الا على ما تتنازع في تفهمه الخواطر، فقلت: امر هذه القصيدة غريب عند اصحابها، فكيف عذمن يريدون ان يقرأوها مترجمة وكل مترجم قد اتجى ناحية قد لا تجمعها بالآخر الا رموز! ولكن الروعة الغالبة في القصيدة لا ترجع الى الوانها القائمة وصورها الغامضة، وانما تعود الى فنا. وطريقها التي جاءت بها.

في القصيدة غموض شامل! وهل كان الغموض سراً من اسرار البيان؟ وهل في استطاعتنا ان نجعل من الغموض مرادفاً للبيان؟ ولكن هل كان البيان كله مستوعباً للفن كله؟ اليس من الفن الشيء الغامض والشيء المعجب والشيء المثير؟ وهو بعد ذلك كله غامض جد الغموض لا يفتح على النفوس الا بقدر استقرارها واستجلائها للخطوط والالوان.. وهل كان اختلاف الناس في تفهم القصيدة الواحدة عيباً من عيوبها البيانية ام قيمة رائعة للقصيدة التي يتشعب من فنا فنون ومن سبلها الواحدة سبل متعددة.

أنا أحب الكتاب الذي يصرع قارئه طوراً وطوراً يصرعه قارئه كما يحبه استاذنا الجليل - واحب القصيدة التي لا تتركنا الا بعد ان تموج انفسنا بشقي اهوائها وميولها، ولكنني لا أحب - ولن أحب - ان يرجى الغموض في الفن لمجرد الغموض. لأن الأمر لا يؤول الا الى فرضي تعمل على تقويض الفن من حيث نحسب اننا عاملون على رفعه.

هنالك آثار فنية واغحة كل الوضوح، ولكن المطلع عليها لا يلبث ان يرتد عنها ضيق الصدر مظلم القلب، وهنالك آثار غامضة كل الغموض لا ينظر اليها الانسان حتى تملأ نفسه روعة وجلالا.

وجددت المساعي لدى انكسرتا. واقترحت اثناء ذلك برقة أو الجزيرة في العراق لتكون مركزاً، للوطن القومي، ولكن هذه المساعي اخفقت ايضا ففت هذا الفشل المتكرر في عضد الصهيونية. وخبث حماسها، فطرت جهودها حتى نشوب الحرب الكبرى وفي اثناء الحرب سعت اليهودية الى غايتها بجد ومثابرة، وقدمت الى الحلفاء كل معونة ممكنة فامدتهم بالقروض المالية، والفت فرق يهودية عسكرية تحارب الى جانبهم. وتولى الزعماء اليهود: لورد روتشيلد والدكتور ويزمان ومسيو سو كولوفا تنظيم هذه الحركة والسعي لدى دول الحلفاء وبخاصة انجلترا في تحقيق مشروع الوطن القومي، واسدى الدكتور ويزمان، وهو علامة كيميائي ومخترع بارع الى انجلترا اثناء الحرب خدمات جليلة؛ بتولى المباحث الكيميائية في المعامل الحربية الانجليزية؛ واختراع مادة جديدة للفرقعات القوية. واستندت اليه منذ سنة ١٩١٧ رآسة الهيئة الصهيونية العالمية. وكانت انجلترا تعد يومئذ هجومها على فلسطين وامل اليهودية يدو على وشك التحقيق. وكانت فرنسا اول من تقدم من الحلفاء لتأييد مشروع الوطن القومي اليهودي بصفة رسمية؛ ففي ٤ يونيه سنة ١٩١٧ وجه مسيو كامبون وزير الخارجية الفرنسية الى مسيو سو كولوفا رئيس اللجنة الصهيونية التنفيذية خطاباً يؤكد فيه عطف الحكومة الفرنسية على القضية اليهودية والوطن القومي، وفي ٢ نوفمبر سنة ١٩١٧ اصدرت الحكومة البريطانية عهداً الشهير بانشاء الوطن القومي اليهودي في فلسطين، وعرف هذا العهد باسم اللورد بلفور وزير الخارجية البريطانية يومئذ؛ وتلى في مجلس العموم البريطاني في النصف الثاني من نوفمبر وادمج في خطاب رسمي وجه الى اللورد روتشيلد كبير اليهودية الانجليزية وهذا نصه:

عزيزي اللورد روتشيلد: يسرني اعظم السرور ان اوجه اليك باسم الحكومة البريطانية التصريح الآتي بالعطف على الاماني الصهيونية اليهودية وهو تصريح عرض على الحكومة البريطانية وافقرته وهو:

« ان حكومة جلالتنا تنظر بعين العطف الى انشاء وطن قومي للشعب اليهودي في فلسطين؛ وسوف تبذل ما في وسعها لتحقيق هذه الغاية. ومن المفهوم انه لن يعمل شيء مما قد يضر بالحقوق المدنية والدينية للطوائف غير اليهودية الموجودة في فلسطين ولا بالحقوق او المركز السياسي التي يتمتع بها اليهود في أي بلد آخر»

عنان

للبحث بقية

وتفتح امامه من لانهايتها لانهاية الوجود . ما سر ذلك ؟ ألع في الفن شيئاً غامضاً غموض النفس ؟ اما تحديدي لهذا الغموض وهذا البيان فهو أمر لا أقدر على ابداء رأي فيه بعد ان أثبتت الحياة اتنا كلها زدنا قيودها اتسعت آماذ حريتها . وكلما قبضنا عليها من مكان أفلتت من أما كن ... وما دام هذا شأن الحياة فليس غريباً ان يكون للفن ايضاً مثل هذا الشأن ، والفن اسمى ما في الحياة . وانما روعة الفن في انطلاقه لا في قيوده .

وأخيراً أخذت هذا الجزء اليسير من القصيدة وآثرت ترجمته برغم غموض معانيه ، مرتقبا من أحد شعرائنا الأفاضل ان يؤدي نجوى استاذنا الدكتور حق تاديتها ، لانها — في الحقيقة — كما فكر الدكتور — ستخلق نوعاً جديداً في الشعر يأتى على هذه الالوان البالية الباهتة . ويخلق في الادب العربي هذه المدارس الجديدة الشعرية التي تحمل طياتها البيان الرمزي وغير الرمزي . وهذه القصيدة نظمها « بول فاليري » في مقبرة مشرفة على البحر ، فكانت خطرة فلسفية تأملية ، يصف بها حالة الكون وذاتية العالم المادى الذى يرجع اليه تراب الموتى ، وراحة العالم الراقذ فى (اللا شعور) وحالة القلق النفسى الذى يعكر علينا صفاء هذا العالم . مريداً من وراء ذلك أن تأخذ النفس نصيبها من هذه اللحظات المتتالية الحينة .

ولا أدري أحسنت العمل أم كنت مسيئاً ؟ ولكنها جرأة أريد بها أن أستثير جرأة غبرى ممن هم أمت منى صلة بالقصيدة وصاحب القصيدة ؟

القصيدة

... انها قدسية ، مغلقة نارها تُوقد من غير غذاء خيم الصمت على أرجائها وعلى صفحاتها رف الضياء

سطعت أضواؤها وهاجت وأثارت فى أسباب الطرب فضلال - كالدجى - ممدودة وقبور رصعوها بالذهب رأيت الظل فى أكنافها حيث يرتج على الظل الرخام وهناك البحر فى غفوته قد ترامى قرب أجداثى ونام

هاهنا أمواتنا قد جثموا مدفناً أجسادهم هذا التراب طاوياً أسرارهم فى جوفه النشر ينطوى هذا الكتاب ؟

الوجود اثلتفت أعيانه وتآخت فيه ألوان الصور واستقرت لسكمال ، وأنا قيد تبديل خفى مستمر

وحياة قد طواها ما طوى وزعوها فى غيابات القبور جسد يأكله هذا الثرى ودماء هى قوت للزهور

أين ذاك الفن فى روعته عند ناس غالمهم صرف الزمان ؟ أين أرواح لهم سامية أين ما أوتوه من سحر البيان ؟

هل علا - حيث علت اصواتهم ومشت روعتهم - الاسكون ؟ نثرت كف البلى أبدانهم وسطا الدود على تلك العيون

هل لنفسى أمل فى حلم ضاحك : صادقة ألوانه ؟ لم يمثله لعينى خادع (١) طال فى تمثيله بهتانه

وغداً ان ذهبت هائمة (٢) أتراها تملأ الجو غناء ؟ قدك ! فالأكون يطويها البلى ووجودى مسرع نحو الفناء

أيها الخلد المعزى للورى أنت جهم (٣) ! وجميل كالربيع توجوه لعينون عشيت عن هداها ، غرها التاج الشنيع

حيله لله ما أجملها وأكاذيب ارتدت ثوب التقى كان فى الخلد عزائى فقضى وطوى اليأس رجائى فى البقا .

من درى الأمر ولا يمتقته ؟ يتجلى كله فى حجمه ! كيفما قلبت أبصرت بها ضحكة دائمة مرتسمه (٤)

(١) الاصل : لم يمثله لعينى اللحيثين ماء ولا ذنب .

(٢) كناية عن تلاشى الروح بعد الموت

(٣) لان الخلود المطلق الذى يمنح للشيء لا يمثله الا شيئاً فارغاً داعياً للسأم كاللحن الواحد . وهذا الخلود نفسه هو صور من صورة الموت

(٤) هذه هى الضحكة التى تمثلها احناك الجاحم بعد الموت . وقد مثلها المعزى بقوله :

ربأ لحود قد صار لحماً مراراً ضاحك من تراحم الاضداد

مِنْ طُرُقِ الشَّعْرِ

آثار شوقية

فرديات من المنظر الثاني في الفصل الثالث

من رواية البخيلة

تظهر حسنى الخادم في ثوب اسود على باب حجرة

من حجر منزل المرحومة الست نظيفة (البخيلة)

حسنى لنفسها تذكروا وهبتها لها الست نظيفة قبل وفاتها

عيني أحق أنى في منزلى ؟ لا . كان لى فوهبته لجمال (١)
غاليت فى شعب الفؤاد بحبه حتى وهبت له الثمين الغالى
أعطيته ما كان أصبح فى يدي من مال جدته فليس بمالى
لم يرض قلبى أن أعيش سعيدة ويعيش فى بؤس ورقة حال
أترأه يقدر خدمتى ومحبتى أولا يمر له الصنيع ببال

رحمة الله على سيدتى وسقى الله ثراها وجزاها
حرمتنى الشاش حتى ذهبت فكستنى الخز فى الموت يداها
وحتمتنى الماء حتى احتجبت فسقيت الشهد من فيض نداها
صار لى من بعدها منزلها والدكاكين وآلت ضيعتها
ثروة قد نهض الجوع بها ومشى الحرمان فيها فبناها
وهبت لى كل ما قد ملكت لم تدع من ذلك شيئاً لفتاها

(١) خفيد الست نظيفة وقد أحبه حسنى الخادم

وبقايا ببقايا بُدلت رب لحد فوق لحد يجثم
خجلت أقدامنا من وطئها ما أديم الارض الا أتم !

ليس للدود اتصال بكم
يا جسوماً أدرجت فى الكفن (٢)

هو بالاحياء يحيا ابدأ هو يحيا فى ، لا يبرحنى !

فنايل لفندوى

دبر الزور

(٢) هذا دود التطور نجعله رمزا للقبر وهو فى الحقيقة يحيا بحياتنا . وهو شعورنا
أو ضميرنا المتغير دائما .

ثم بعد لحظة :

لا . ذاك مال جمال تركته لجمال
وعدت ما كنت من قبل فوطى هى مالى
أجل أنا الخادم والطاهيه وما أنا السارقة الباغيه
ولا على الناس طفيلية أجعل أموالهم مالى

سمعت حديث البخل حتى صحبته زماناً أراه كل حين واسمع
يروح ويغدو بين عيني صورة ويأتى حيالى بالحياة ويرجع

سيدتى ونجلها فى الحظ سارا كالمثل
وانتقلت وذكرها بالبخل فيه ما انتقل
يرحمها الله فما أنسى لها تلك الجمل
فى غضب عند الحوا رواضطراب (وزعل)
وما أختلفنا مرة فى حمل ولا جمل
لكن لأجل الثوم كان الخلف أو حول البصل
ولم نكن من الدقيق ننتهى ولا العسل

يرحمها الله وان لم تأت يوماً بحسن
عاشت بثوب واحد كالميت عاش بكفن
أما أنا فالشاش أو مادون ذاك فى الثمن
وبدلتى وفوطى طال عليهما الزمن
واجرتى عشرون قر شامع كثرة المهن
البئر لا أبرحها خارجه وداخله
صاعدة كالذلو كل ساعة ونازله
طباخة أصنع من لا شئ شيئاً نأكله
وأنحنى على البلا طكل حين أغسله
وكل دكان على أجرها أحصله

اعلان من الادارة

الاشتراك من الآن يكون على النظام الجديد ، ولا يحاب
طلبه الا مصحوباً بالقيمة . أما المشتركون القدماء
فسيستمر على ارسال المجلة اليهم حتى آخر السنة الاولى